بدلة كاملة!

جلس بجانبي في الطائرة، سلم عليَّ بحنان أبوي، يرتدي "بدلة" كاملة بسيطة، أغلب الطائرة من العائدين من العمرة وليس من عادة المعتمرين ارتداء بدلة! معه أخته وزوجها.

لاحظت أن أخته تحمل حقيبته وتطمئن عليه كما لو كان ابنها رغم أنه يكبرها في السن! تحدث معي ففهمت الوضع، هو رجل كبير بعقل و"قلب" طفل! يفهمك جيدًا ويستطيع أن يشرح وجهة نظره نوعًا ما، ارتحت له تمامًا بوجهه "الطيب" وملامحه ونظرته البريئة تمامًا، سألني عن أسرتي وحياتي ودعا بحرارة لي ولبناتي وزوجتي "وهو لا يعرفهم" فأسعد قلبي فعلًا، ثم نظر لي بوجه واضح وقال "إنت شكلك طيب، وأنا عايز أسألك عن حاجة، هو أنا مش بقدر أحفظ أدعية وأذكار زي بقيت الناس .. بس لما بسافر أو أخرج من بيتي بقول توكلت عليك يا رب، ولما أرجع بالسلامة بقول الحمد لله، وساعات بقرأ الفاتحة، هو كدة صح ولا غلط؟!" سكت تمامًا وتأثرت بكلماته ولم أستطع التحدث للحظات، كان يتحدث بصدق وعفوية وبراءة مدهشة و"مفتقدة" ... ابتسمت وقلت:

"لا عليك يا حاج فأنت تتوكل على الله عند الخروج وتحمده عند العودة، والأجمل يا سيدي هو أن كلماتك "حية" وتوكلك حقيقي وشكرك صادق مثلك ...!"، نظر لي بعينين "ممتنة" وشكرني وهو يبتسم ويهز رأسه.

انتهت الرحلة فودعني بحرارة وكأنه يعرفني منذ سنوات، تركته بقلب منشرح وتساءلت، لماذا يفقد البعض براءته وصدقه كلما نضج عقله؟ ولماذا عندما يتوقف العقل ينمو "القلب" ويصبح الإنسان أكثر روعة وأقل تكلفًا؟!

فاللهم امنحنا قلوبًا نقية ونفوسًا تقية وصدقًا دائمًا، وبصيرة من عندك نعرف بها من يحبنا بصدق ويرغب لنا في الخير ويستحق مشاعرنا، ومن يبغضنا ويخدعنا ويتمني لنا الشر ويعبث بأحلامنا، ولا تحرمنا أبدًا من صحبة الطيبين "الواضحين" ودعائهم المستجاب ... لا تحرمنا أبدًا!

***